رحلة علماء المغرب الأوسط إلى بلاد الأندلس في القرن 6هـ/12م من خلال الموروث التراجمي الأندلسي– علماء تلمسان وبجاية أنموذج–

The Journey of Middle Maghreb Scholars to Al-Andalus in the 6th century AH/12th century CE through the Andalusian Translational Heritage - Scholars from Tlemcen and Béjaïa as a Model-

ط/ غالم يوسف [1]*، د/قادة السبع [2]

[1] جامعة وهران –1– أحمد بن بلة– ghalemyoucef86@gmail.com

[2] جامعة وهران –1– أحمد بن بلة– aasebaakada@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/01 تاريخ القبول: 2024/02/04 تاريخ النشر: 2024/03/14

ملخص:

إن التميز في نشأة التأليف التراجمي في الأندلس وازدهاره بها، وتعدد طريقة العرض التي تخضع لها مواده، قد كانت إحدى الخصوصيات المهمة الأولى التي أعطت جانبا من هذا التفرد في صناعة التراجم، وتظل الثوابت الرئيسية التي تقوم عليها الترجمة المحرك الأساسي لمعرفة مكانة علماء أي قطر من الأقطار الإسلامية في هذا الصنف من التأليف.

ورغم الإضطرابات السياسية التي عصفت ببلاد المغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/12م، إلا أن ذلك لم يمنع من بروز نخبة من العلماء الذين ذاع صيتهم داخل وخارج بلاد المغرب الأوسط ويأتي في الصدارة علماء تلمسان وبجاية، والذين كان لهم إسهام فعال في تنشيط الحركة العلمية والفكرية ببلادهم، ويعود ذلك إلى الرحلات العلمية التي قاموا بها إلى بلاد الأندلس والتي كان لها انعكاس إيجابي على التكوينهم العلمي والتربوي لشخصيتهم.

كلمات مفتاحية: الرحلة؛ العلماء؛ المغرب الأوسط؛ كتب التراجم؛ الأندلس.

Abstract: the origin and flourishing of translational authorship in Al-Andalus, and the multiplicity of presentation methods to which its materials are subject, have been one of the first important characteristics that gave a glimpse of this uniqueness in the art of translation. The main constants upon which translation is based remain the main driver of knowing the status of scholars in any of the Islamic regions in this category of authorship. Despite

the political disturbances that swept through the Middle Maghreb during the 6th century AH/12th century CE, this did not prevent the emergence of a group of scholars whose reputation spread inside and outside the Middle Maghreb, led by scholars from Tlemcen and Béjaïa, who had an active contribution in reviving the scientific and intellectual movement in their countries. This was due to the scientific trips they made to Al-Andalus, which had a positive impact on their scientific and educational formation and personality.

Keywords: Journey; Scholars; Middle Maghreb; Translational Books; Al-Andalus.

مقدمة:

إن تاريخ الأمة مبني على أعلامها البارزين الذين أثرت حياتهم على مجرى التاريخ، فاستحقت التسجيل لتكون عبرة للأجيال، ودرسا في الأخلاق؛ وبهذا التراث العلمي الذي خلفه رجالها تكون قد ساهمت في امتلاء مكتبات الشرق والغرب،كما أن للمستشرقين اعترافات في هذا المضمار؛ بدليل قول جان سوفاجيي، وكلود كاهين:" المؤرخ الإسلامي...لديه قدرا من المصادر الأدبية أكبر مما أنتجته أية حضارة أخرى حتى العصر الحديث"[1]، لقد كان أهل الأندلس ممن شغفوا بالتأليف والكتابة عن سير علمائهم، وكذا الوافدين إليهم؛ ومن ثمة وبهدف تخليدهم صنفوا العديد من المؤلفات في التراجم والطبقات، بما فيها كتب المشيخة والفهارس والبرامج.

لكن رغم الجهود المبذولة في هذا الجانب فإننا وجدنا أن القاضي ابن الربيب التاهرتي(ت 430ه/1039م) قد اتهم أهل الأندلس بالتقصير في تخليد أخبار علمائهم ،ومآثر فضائلهم، وسير ملوكهم[2]؛ غير أن أبا المغيرة عبد الوهاب بن حزم رد عليه برقعة يتهمه فيها بالتحامل والظلم، والإبتعاد عن النصفة والعدل، وأن هناك العديد من المؤلفات التي يتهافت عليها علماء بلاده[3]؛ في حين رأى علي بن

[1] جان سوفاجيي وكلود كاهين، 1998م، ص49.

[2] ابن بسام علي أبي الحسن الشنتريني، 1417ه/1997م، ق 1، مج1، ص134

[3] المصدر نفسه، ق1، مج1، ص ص136-139.

أحمد بن حزم(ت 456هـ/1063م) بأن رد ابن عمه لم يشف غليله؛مما دفعه إلى تأليف رسالة مستفيضة ذكر فيها فضائل الأندلس، ومآثر أهلها، وإحصاء علمائها من المعاصرين والسابقين، وإيراد أسماء تواليفهم، وتحديد الموضوعات التي كتبوا فيها، مع مقارنة بين علماء الأندلس والمشرق قائلا:" أن علماء بلدنا بالأندلس، وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف ؛ فإن هممهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم، ومكارم ملوكهم، ومحاسن فقهائهم، ومناقب قضاتهم، ومفاخر كتابهم، وفضائل علمائهم"[1]؛ إن كتب التراجم بأنواعها تبقى نمطا فريدا من المصادر الإسلامية، حيث جاءت بهدف تحقيق غاية بعينها، ألا وهي تلبية حاجة المجتمع في نقل وترسيخ العلم والمعرفة من جيل إلى آخر.

ومن خلال ما سبق، يظهر بأن الأندلسيين قد إهتموا اهتماما بالغا بالمصنفات التراجمية طيلة الحكم الإسلامي، وإن كانت خليطة وهجينة جغرافيا؛ هذا ما حدى إلى إمكانية طرح الإشكالية التالية: إلى أي حد تستطيع المادة المصدرية المتوفرة في كتب التراجم الأندلسية أن تقوم باخراج التراجم التلمسانية والبجائية من دائرة المجهول إلى المعلوم ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية وجب علينا طرح عدة تساؤلات فرعية، من أهمها: ما هي الدوافع الحقيقية التي كانت وراء رحلة علماء تلمسان وبجاية إلى بلاد الأندلس؟ وما هي منجزاتهم العلمية؟

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن حضور علماء تلمسان وبجاية في النصوص التراجمية الأندلسية؛ ومن ثم توضيح أحوالهم وأدوارهم في النشاط الثقافي والمعرفي على الساحة المغربية والأندلسية؛ وإن إستقر أمرنا لإنجاز هذه الدراسة على اتباع المنهجين الرئيسين رأيناهما مناسبين والمتمثلين في المنهج الإستقرائي والمنهج التحليلي.

أولا: نشأة كتب التراجم الأندلسية بين التقليد والتجديد

[1] المقري أحمد بن محمد، 1968م، مج3، ص159.

لقد تعددت موضوعات و تخصصات الكتابة التاريخية الإسلامية، إذ أحصى الذهبي أربعين فنا[1]، وأن ميلاد أي علم أو فن لا يكون من العدم وإنما بإرهاصات أولية تمهد لمرحلة نضجه واستقلاليته[2]؛ لهذا كان تدوين الحديث عاملا فعالا في خدمة الكثير من العلوم التي ظهرت بجانبه لتخدم رسالته، وفي مقدمتها علم التاريخ[3].

ويعتبر علم التراجم فرعا مهما منه، الذي يعود بداية ظهوره إلى القرن2هـ/8م؛ كما كان معظمه مقصورا على خدمة علوم الدين، متأثرا بمنهج الحديث في الإسناد، قال فرانزروزنثال:" كتب التراجم نشأت بدافع تدعيم علمي الحديث والفقه"[4]؛ بدليل وضع علماء الحديث المعايير التي تسمح بقبول وتصحيح نص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم منها: التقصي عن البيئة الأسرية للرواة، وطبيعة ارتباطهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والمدة التي قضوها معه، وعلاقتهم بصحابة المقربين؛ وبالتالي فإن قبول السيرة أو رفضها يتوقف على ما يعرف من تاريخ حياة الرواة[5]، قال ابن عبد البر القرطبي:"ومعلوم من حُكِمَ بقوله وقُضِيَ بشهادته، فلا بد من معرفة اسمه، ونسبه، وعدالته، والمعرفة بحاله"[6]؛ كما أن الإهتمام بالبحث في سير رجال الحديث أدى في آخر المطاف إلى ظهور علم الرجال.

وبهذا نما هذا الحضور المبكر لعمل التراجم في بلاد المشرق وهو أعم في الإصطلاح من كتب علم الرجال؛ فنتج عنه فيضا من أعمال التأليف في هذا الصنف من التاريخ، الذي توسع إلى وضع تراجم أخرى لطبقات الرجال الذين تتفق توجهاتهم وتخصصاتهم في لون واحد من العلم[7]؛ وإن حضور الكتابة

---

[1] طه عبد المقصود عبد الحميد أوعبيد، 2004م، ص 238.

[2] زبيدة بوطويل،1428-1429هـ/2007-2008م، ص18.

[3] محمد عبد الغني حسن، د ت، ص18.

[4] فرانز روزنثال، 1403هـ/1983م، ص 115

[5] محمد أحمد ترحيني، د ت ، ص167.

[6] ابن عبد البر يوسف القرطبي، 1426-1427هـ/2006م، ج1، ص18

[7] سالم أحمد محل، 1997م، ص ص 128-129/ عبد الحليم عويس، 1409هـ/1988م، ص 202 .

التراجمية في تراث الأندلس لم تزاحم المشرق ومؤلفاته؛ كما تبقى البدايات الأولى للتدوين التراجمي بالأندلس غامضة غير واضحة المعالم.

لكننا نرى بأنه لا يستبعد أنها كانت قريبة من الفترة التاريخية التي ظهر فيها هذا النوع من الكتابات ببلاد المشرق؛ بحكم جسور التواصل العلمي التي كانت قائمة بين بلاد الأندلس والمشرق؛ ويرجع ذلك إلى وجود أكبر المراكز العلمية بها آنذاك، وبالتالي ترتبط المراحل التأليفية الأولى في الأندلس زمنيا بما حمله القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وأوائل القرن الرابع الهجري/العشر الميلادي من مصنفات المشرق؛ إذ تأثرت تجربة تراجم الرجال في الأندلس بأعماله، وجرت في ذلك على طريقته.

تجدر الإشارة إلى أن علماء هذه البلاد اشتغلوا بادئ بدء بالحديث والفقه؛ وذلك لمسيس حاجة السكان حينئذ لتنظيم هيئته الإجتماعية، وتدبير سياسته الشرعية على أصول نظام الدين؛ لأن المؤرخ الأندلسي لم تكن تستقيم له أدواته في فنه، ما لم يكن قد درس علم الحديث الشريف، وبرع فيه؛ لفضله على المؤرخ في تقديم منهجه وتمهيد سبيله، كما استلزمت هذه المرحلة تراجعا متناميا في الاتصالات بالمشرق مما يعني أن تطور علم التراجم في الأندلس أصبح منذ القرن 5هـ/11م أصيلا، ومستقلا نوعا ما عن المشرق؛ وعليه فشيوع كلمة الأندلسية ما هي إلا تأكيد على إظهار نوع من الخصوصية والبراعة من أهل الشعر والأدب والعلم والفقه والرواية والتاريخ، وسواهم من المبدعين والمؤلفين، الذين كانوا يرون أنفسهم جزءا من خريطة الحضارة العربية الإسلامية ؛وأنهم لا يقلون عن غيرهم من المشارقة[1]؛بل أكثرمن ذالك حين صرح في هذا المضمار المحقق إحسان عباس:"ولقد تفوق الأندلسي في كتابه على سلفه المشرقي"[2].

وبهذا تكون مرحلة ازدهار وتطور الحضارة الأندلسية قد انعكست آثارها على مختلف فروع المعرفة؛ بما فيها كتب التراجم، التي نزعت هي الأخرى نحو التأكيد على خصوصية التطور الثقافي في

[1] ابن الفرج أحمد، د.ت، ص 16.

[2] المصدر نفسه ، ص 20 .

الأندلس، والإعراب عن الهوية الأندلسية[1]، لقد أشار ابن بسام الشنتريني(ت 542هـ/1147م) إلى امتلاك الأندلسيين موهبة أدبية التي يجب ألا يحجبوها بتقليد المشارقة فقال:"...ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين لضاع علم كثير...وذهب أدب عزيز"[2]، هذا إلى جانب الغيرة التي كانت عند أهل الأندلس على علمائهم، فجعلتهم يولون اهتماما بتراثهم الثقافي بدافع روح المنافسة والتفاضل مع البلدان الأخرى[3]، والذي تجسد في تأليف مصنفات يجمعون فيها ما خلفوه في مختلف العلوم التي تلقوها عن شيوخهم؛ وبشكل أو بآخر حماية تراثهم العلمي من الضياع، ووصول الأندلسيين إلى درجة الوعي وإدراكهم مدى الإبداع الذي حققوه في مختلف مجالات الكتابة التاريخية، فلا شك أن هذا الشعور جعلهم يتحررون من التابعية المشرقية، التي لطالما بقيت لصيقة بهم في القرون الأولى من التدوين.

لقد كان التأليف في فضائل الصحابة رضي الله عنهم في صدارة الكتب المؤلفة في تراجم الرجال خلال القرن 5هـ/11م؛ لأن مؤلفي الرجال في الأندلس أرادوا أن يجعلوا من كتاباتهم، ولاسيما كتب الصحابة رضي الله عنهم وذكر فضائلهم نورا يهتدي الناس به في معترك الفتن والإضطرابات التي اندلعت في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي وبداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشرالميلادي ما شهدته عقوده الأولى، وحتى سقوط مدينة طليطلة 478هـ/1085م من أحداث وتراجعات سياسية في واقع حال المسلمين في الأندلس[4].

وعليه فإن كتب التراجم سواء كانت أندلسية أو لبلاد أخرى أهمية كبيرة في دراسة التاريخ الإسلامي؛ لما تلقيه من أضواء على الأحوال السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية، فضلا عن كونها تعكس لنا تطورات الحركة الفكرية من حيث تياراتها و انتاجها الثقافي؛ وفي هذا ذكر فرانز روزنثال: بأنه"لا

[1] الشلبي عثمان بن علي، 1423هـ/2002م، ص 5 .

[2] ابن بسام علي الشنتريني، المصدر السابق، مج1، ص14.

[3] ماريا خيسوس روبييرامتي،1998م، ص 49-50.

[4] إيمان محمود حماي العبيدي،1433هـ/2011م، ص 16.

يصح حذف التراجم من أي بحث للتاريخ الإسلامي، حتى لو كان هذا الحذف ممكنا...وأن المؤلفات الراقية دائما تميل نحو التراجم"[1].

ثانيا: إحصاء علماء بجاية وتلمسان في الموروث التراجمي الأندلسي خلال القرن 6هـ/12م:

ازدهرت الحركة العلمية في بلاد الأندلس طيلة الحكم الإسلامي؛ ومن مظاهرها عناية مؤلفيها في التأريخ لعلمائهم، قال ابن فهد المالكي:"إن الاشتغال بنشر الأخبار من أهل العلم والآثار من علامات سعادة الدنيا وسعادة الآخرة؛ إذ هم شهود الله في أرضه، ولهم المراتب الفاخرة"[2]، لذا وجدنا بأن المصنفين الأندلسيين لم يركزوا على بيئتهم الجغرافية فحسب بل حتى بيئات الوافدين كان لهم حظا في كتاباتهم.

وفي هذه الدراسة سنحاول الإحاطة ببعض أسماء علماء تلمسان وبجاية من خلال المصنفات التراجمية الأندلسية التي وصلتنا، وذلك في حدود الإطار الزمني لموضوع هذه الدراسة الممتد من بداية القرن6هـ/12م، مستعرضا العلماء حسب أقدمية الوفاة ضمن الجدول التالي:

العدد	اسم العالم	الموطن	تاريخ الرحلة القرن/السنة	الحواضر العلمية الأندلسية التي زارها	المصادر التراجمية التي ورد فيها إسمه
01	موسى بن عيسى بن علي التلمساني/ دون تحديد	تلمسان	مجهول	مرسية	– المعجم في أصحاب القاضي الصدفي لإبن الأبار
02	عبد الله بن سعيد الوجدي(ت قبل سنة 510هـ)	تلمسان	مجهول	بلنسية	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار
03	عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون(ت سنة 534هـ)	تلمسان	مجهول	دون تحديد	– الصلة لإبن بشكوال – بغية الملتمس للضبي – صلة الصلة لإبن الزبير
04	حسين بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهيل(ت سنة 553هـ)	تلمسان	القرن6هـ/12م	قرطبة ومرسية	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار

[1] فرانز روزنثال، المرجع السابق، ص141.

[2] نايف بن صلاح بن علي المنصوري، 1427هـ/2006م، ص ص11-12.

05	حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب (كان حيا سنة 569ه).	تلمسان	مجهول	ألمرية	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار
06	عبد الحق بن سليمان بن الكومي(ت سنة 571ه)	تلمسان	مجهول	لم يحدد	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار – برنامج الرعيني – صلة الصلة لإبن الزبير
07	حجاج بن يوسف الهواري(ت سنة 572ه)	بجاية	القرن6ه/12م	لم يحدد	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار
08	علي بن عبد الرحمن أبو الحسن المعروف بابن أي جقون(ت سنة 577ه)	تلمسان	مجهول	ألمرية	– صلة الصلة لإبن الزبير
09	جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي الحسيني(كان حيا سنة 578ه)	تلمسان	مجهول	اشبيلية	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار
10	الفضل بن أحمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي(ت سنة 598ه)	بجاية	مجهول	لم يحدد	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار
11	الحسين بن حجاج بن يوسف الهواري(ت سنة 598ه)	بجاية	القرن 6ه/12م	اشبيلية	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار
12	عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي(كان حيا في القرن 6ه)	بجاية	مجهول	قرطبة	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار
13	يعقوب بن حماد الأغماتي(ت في القرن 6ه)	تلمسان	511ه/1117م	مرسية	– التكملة لكتاب الصلة لإبن الأبار – المعجم في أصحاب القاضي الصدفي لإبن الأبار

التعليق على الجدول:

أفضى استقراء هذا الجدول إلى الملاحظات التالية: أنه بلغ عدد علماء تلمسان وبجاية الواردة أسماؤهم في الموروث التراجمي الأندلسي ثلاثة عشر عالما منهم تسعة من مدينة تلمسان والبقية من بجاية، وهؤلاء كانت لهم رحلة إلى بلاد الأندلس بموجب أسماء الحواضر الأندلسية التي وردت في نصوص تراجمهم.

إن رغبة الناس عموما في البلدان والأزمان المختلفة كانت تحب السفر؛ وذلك سعيا وراء غايات بعينها، خاصة وأنها ذات صلة وطيدة بطابع الحضارة العربية الإسلامية التي وصل نفوذها إلى مشارق الدنيا ومغاربها و عهدها؛ وفي مقدمتها الرحلة في طلب العلم؛ نظرا لما تشكله من قيمة كبيرة في التحصيل والتكوين العلمي؛ والملفت للنظر هو طابع المبادرة الشخصية الذي كان العامل الحاسم في غالب الأحيان؛ ولم تكن الدولة أيا كان اسمها تقوم بتمويل هذه الرحلات إلاّ في أضيق نطاق.

لهذا كان كل علماء تلمسان وبجاية الذين وردت أسماؤهم في المصنفات التراجمية الأندلسية حريصين على الرحلة إلى بلاد الأندلس بهدف الاستزادة في العلم، قال سعيد بن جبير:" لا يزال الرجل عالما ما تعلم؛ فإذا ترك العلم، وظن أنه قد استغنى، واكتفى بما عنده؛ فهو أجهل ما يكون"؛ ويبقى السن المناسب للرحلة هو سن الشباب؛ وذلك نظرا إلى اكتمال النمو الجسمي والعقلي للرحالة، ومن ثم قدرتهم على تحمل تعب و مشاق الرحلة، وكذا عدم انشغالهم بالحياة العائلية التي في غالب الأحيان تعيق الراغبين في السفر؛ وفي هذا أوصى الإمام أبو حنيفة تلميذه أبا يوسف قائلا:" وأطلب العلم أولا، ثم اجمع المال من الحلال، ثم تزوج؛ فإنك إن طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم في عنفوان شبابك، ووقت فراغ قلبك وخاطرك"[1].

وكانت وجهة هؤلاء العلماء زيارة العديد من الحواضر العلمية الأندلسية؛ وتأتي في الصدارة مدينة قرطبة التي كانت أكثر المدن شهرة؛ نظرا لتركز جم غفير من العلماء بها، ويبدو أن حظ اشبيلية لم يكن مغايرا عن حظ سابقتها؛ إذ عرفت مجدا حضاريا كبيرا جعلها قطبا من أقطاب العلم والمعرفة بالأندلس؛ وهناك نماذج عديدة عن علماء بجاية الذين رحلوا إلى بلاد الأندلس بهدف طلب العلم رتبناهم وفق- أقدمية الوفاة- نذكر منهم حجاج بن يوسف الهواري(ت 572هـ/1176م) الذي دخل الأندلس مرارا،

[1] التميمي بن عبد القادر،1390هـ/1970م، ج1، ص ص186-187.

وروى عن بضع علمائها[1]، عبد الله خليفة بن أبي عرجون(ت سنة 534ه/1139م) الذي سمع من أبي علي الغساني[2]، وهكذا أخذت الرحلة في طلب العلم حيزا كبيرا من فكر علماء مدينتي تلمسان وبجاية، الذي تطلب منهم الصبر، وبذل جهد في سبيل الحصول على الغاية المراد تحقيقها، قال يحي بن أبي كثير:"لايُنال العلم براحة الجسم"[3]؛ وبالتالي استطعوا أن يضعوا بصمتهم في التراث الأندلسي، رغم الجم الغفير من فطاحل الأندلسيين.

ثالثا: النصوص التراجمية لعلماء تلمسان وبجاية: قراءة منهجية

إنّ المصنفات التراجمية الأندلسية تتضمن الأسماء العلمية التي تنحدر من بيئة مصنفيها أو التي وفدت عليهم من البيئات الأخرى، سالكين مناهج خاصة في عرض وترتيب مادتهم العلمية، واعتماد الشروط اللازمة لذكر أي فئة من الرجال أو غيرها، وفق ما يعرف بتركيبة الترجمة.

ماهية تركيبة الترجمة:هي بناء محتوياتها بصورة تكفل لها تقديم المادة العلمية والمعرفية، التي تزيل حجب المجهول في المترجم بهم؛ فيتم التعرف عليهم في حدود ما يمكن أنّ يصبح المترجم به معلوما ومعروفا غير نكرة[4]، تتميز الترجمة النموذجية بمعالم محددة، نطلق عليها بالثوابت، وتتمثل في معرفة اسم المترجم به وكنيته ولقبه ونسبه وانتماءه المكاني، وعرض مشيخته وتلامذته، وذكر رحلة المترجم به إن وجد، مع ذكر الأحوال والنشاطات المهنية والمصنفات للمترجم به، وختم الترجمة بتاريخي المولد والوفاة.

أركان الترجمة النموذجية : دراسة تحليلية

الثابت الأول: معرفة اسم المترجم به ولقبه وكنيته ونسبه وانتمائه المكاني

---

[1] ابن الأبار محمد أبي عبد الله، 1415ه/1995م، ج1، ترجمة رقم765، ص230.

[2] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ترجمة رقم 668، صص 453-454

[3] السيوطي عبد الرحمن،1415ه، ج1، ص584.

[4] عبد الله المرابط الترغي، 1428ه/2007م، ص27.

يبدأ المصنف تراجمه في غالب الأحيان بالاسم الكامل للمترجم به وكنيته ولقبه؛ وهذا فن الحاجة إليه حاقة[1]، لأن اسم العلم هو الموضوع على المسمى تمييزا له؛ لا لدلالته عليه،[2]، قال بعضهم:"إن الاسم يقصد به الذات فقط"[3]؛ وفائدته تكمن في ضبط من توهم الواحد اثنين فأكثر، واشتباه الضعيف بالثقة وعكسه[4]؛ ولهذا تكلف مصنفون آخرون عناء البحث في التمييز بين من تتفق أسماؤهم وأسماء آبائهم أو كناهم؛ مستندين على تقارب العمر بين الأب وابنه[5]، وإنّ جمع و إحصاء أسماء العلماء، سواء كانوا بجائيين أو غيرهم من الأقاليم الأخرى مهمة صعبة المنال، قال ابن الأبار:"وعالم لا تحصى أسماؤهم"[6]؛ لهذا توصلنا إلى إحصاء ثلاثة عشر عالما من علماء مدينتي تلمسان وبجاية، التي وردت أسماؤهم في الموروث التراجمي الأندلسي – التراث المطبوع- والتي سيتم تحليل نصوص تراجمها وفق الثوابت السابقة الذكر كما يلي:

– ألقاب وكنيات العلماء بين الأحادية والتعدد: يختلف المعنى اللغوي للقب عن المدلول الشائع فأصل اللقب في اللغة النبز وهو ما يخاطب به الإنسان من ذكر عيوبه وما يحب ستره، أما اصطلاحا فاللقب عند النحاة هو أحد أقسام العَلْم وهو الذي يعين مسماه مطلقا من غير حاجة إلى قيد[7]، ومع مرور الوقت أجيز استعمال اللقب في موضع النعت الحسن وهو ما يختاره الإنسان ويزيد في إجلاله غير أنه استعمل أيضا في الذم وعلى هذا اتفق مع اللقب في جواز استعماله للمدح والذم، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن مناداة الشخص بما يكره ويغضبه قائلا:" لا تدعوا الرجل إلا بأحب أسمائه إليه"[8].

---

[1] الشهرزوري عثمان بن عبد الرحمان، د.ت، ص ص290-291.

[2] محمد محي الدين عبد الحميد، 1400هـ/1980م، ج1، ص119.

[3] محمد بن أحمد بن علي باجابر، ذو الحجة 1430هـ، ص8.

[4] السخاوي محمد بن عبد الرحمان، 1426هـ، ج4، ص198.

[5] الغساني الجياني الحسين أبو علي، 1421هـ/2000م، مقدمة المؤلف، ص4.

[6] ابن الأبار، 1380هـ/1961م، ص45.

[7] محمد محي الدين عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص118.

[8] سعد فهمي أحمد بلال، د.ت، ص9

اهتم المؤلفون الأندلسيون بذكر ألقاب علماء تلمسان وبجاية إلى حدما: فمنهم من ذكروا له لقب واحد كأمثال الفضل بن أحمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي(ت سنة 598ه)[1] وآخرون ذكر لهم لقبين كأمثال عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي(كان حيا في القرن 6ه)[2].

كما كانت ألقاب الكناية المكانية حاضرة في النصوص التراجمية، والتي غالبا ما ينتسب العالم إلى البلد الذي نشأ فيه، أو ينتمي إليه أفراد عائلته؛ وتضاف الياء إلى النعت الشخصي للمكان والفضل بن أحمد بن علي بن طاهر بن تميم(ت 598ه/1201م)، الذي لقب بالقيسي نسبة إلى قبيلة قيس[3]، والذي يلفت القارئ هو عدم تحديد كاتب الترجمة إن كان اللقب يرجع لصاحب الترجمة نفسه، أم لأبيه، أو أحد أجداده.

عموما تكمن الغاية من اللقب، أن يعرف بالمرء؛ وذلك حتى تتباين درجة الرفيع والوضيع، وتتميز مرتبة الصغير من الكبير، والخاص من العام، ويستقر[4]، قال أبو اسحاق الشاطبي:" واللقب ما غلب على المسمى حتى اشتهر به على جهة الرفعة، أو الضعة"[5]، ولها فوائد أساسية أخرى إذ تميز بين الذين يشتركون في الاسم، وتمنع من ظن اللقب اسما[6]، ويبقى للشرع حكم واضح في استعمالها؛ فالأصل في الألقاب الحسنة الجواز، والأصل في الألقاب القبيحة التحريم؛ وتستثنى من ذلك أحوال مخصوصة[7].

---

[1] ابن الأبار، 1415ه/1995م، ج4، ترجمة رقم 154، ص58.

[2] المصدر نفسه، ج2، ترجمة رقم 876، ص304.

[3] ابن الأبار، 1415ه/1995م، ج4، ترجمة رقم 154، ص58.

[4] نظام الملك الطوسي، 1428ه/2007، ص194.

[5] إبراهيم بن موسى الشاطبي، 1428ه/2007م، ج1، ص358.

[6] السخاوي، المصدر السابق، ج4، ص212.

[7] المصدر السابق، ج4، ص217.

أما الكنية تعني اصطلاحا علم يدل على الذات، وهو مُصَدّرٌ بأب أو أم، لكن ليس غرضه الأساس هو المدح أو الذم بطريق الصريح[1]؛ قال ابن الجوزي:"فإن تكريم المخاطب، وبيان مرتبته بأن لا يواجه باسمه، بل بكنيته"[2]؛ لقت الكنية عناية من المؤلفين، إذ كل علماء بجاية ذكرت كناهم؛ حتى أن منهم كان يحمل كنيتين مثل: الفضل بن أحمد بن علي بن طاهر بن تميم(ت 598هـ/1201م) كان يكنى بأبي الفضل، وأبي العلاء[3].

– **معرفة نسب المترجم به:** اهتم العرب بالنسب، لإنه في مقام الرأس من الجسد، وأول ما يتعرف عليه الإنسان هو التعارف فيما بينهم؛ لذا كان الفرد المسلم يعتز اعتزازا كبيرا بنسبه، وأكثر من ذلك خص الله تعالى هذه الأمَّة بثلاثة أشياء لم يُعطِها من قبلها نذكر منها الأَنْسابِ[4]، قال المتلمسُ الضُّبَعِيَّ:

ومَنْ كانَ ذا نَسَبٍ كريمٍ ولم يَكُنْ له حَسَبٌ كان اللَّئِيمَ المُذَمَّما[5]

وسُمِّي النسبُ نَسَبا لإنك عَرَّفْتَهُ بذلك كما تَعَرَّفَ الإنسانُ بآبائه وأجداده[6]؛ لذا اهتم المؤلف الأندلسي في ذكر نسب تراجمه، التي اعتبرها من غايات التاريخ ومآربه والذي كان شرطا ضروريا[7]، قال ابن عبد البر القرطبي(ت 463هـ/1070م) " منبها على ما يحتاج إليه من معرفة الأنساب، بأنه "علم لا يليق جهله بدوي الهمم والآداب"[8]؛ لكن تبدو بأن هذه العناية لم تتجسد على كل تراجم بجاية: فابن الأبار لم يفصل في كل من ترجم بهم إلا في حدود ضيقة؛ فهناك تراجم اكتفى بذكر جدها: الأول كأمثال: حجاج بن يوسف الهواري(ت 572هـ/1176م)[9]؛ وهناك تراجم أخرى عرج حتى إلى

---

[1] عباس حسن، د.ت، ج1، ص307.

[2] ابن الجوزي عبد الرحمان، 1993م، ج1، ص11.

[3] ابن الأبار، 1415هـ/1995م، ج4، ترجمة رقم 154، ص58.

[4] السيوطي، المصدر السابق، ج1، ص359.

[5] ابن منظور محمد، 1997م، ج1، (مادة حسب)، ص ص310-311.

[6] العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين، 1430هـ/2009م، ج2، ص143.

[7] ابن الخطيب الغرناطي، 1424هـ/2003م، ج1، (مقدمة المؤلف)، ص4.

[8] ابن عبد البر القرطبي، 1405هـ/1985م، ص11.

[9] ابن الأبار، 1415هـ/1995م، ج1، ترجمة رقم 765، ص230.

جدها الرابع لعلي بن حسن بن علي بن عبد الله بن فروخ التميمي[1]؛ كما أن هناك إهمالا تاما من طرف مؤلفين آخرين كالنباهي الذي ذكر كنيتين دون اسم المترجم به فلولا شهرته ما علمنا ذلك ونخص بالذكر أبا العباس الغبريني[2].

– **بيان موطن المترجم به:** كان العرب ينتسبون إلى قبائلهم، فلما جاء الإسلام غلب عليهم سكنى القرى والمدائن، حتى أضاع كثير منهم أنسابهم فلم يبق لهم إلا الانتساب إلى أوطانهم[3]؛ وهو فن مهم جليل اعتنى به المصنفون الأندلسيون، خاصة أنه يتبين منه الأندلسي والغريب عنهم؛ بدليل أنهم أدرجوا كل من هو غير أندلسي ضمن باب أطلقوا عليه اسم الغرباء، حيث يحدد فيه المصنف الموطن الأصلي للمترجم به[4]، قال ابن الخطيب(ت 776ه/1374م):"فذكرت نبذا من أخبار وطنهم الذي سكنوه"[5]؛ وأحيانا يتجاوز المؤلف ذكر الإطار المكاني للعالم إلى احصاء كل من سكن مدينة معينة ، أو دخلها، أو اجتاز عليها[6]؛ وبما أن الورقة البحثية سلطت البحث على علماء مدينة بجاية، فلا يمكننا تحليل هذا الركن، لكن يبقى حاضرا في حال ما كانت الدراسة عامة وليست خاصة.

الثابت الثاني: عرض مشيخة المترجم به وتلامذ ته

إن ظهور وبروز أي شخصية على مستوى مختلف الميادين العلمية، مرجعه إلى جملة من العوامل والمؤثرات التي تعمل على صياغتها وتشارك في تنميتها، و إنضاج اتجاهاتها الفكرية والأخلاقية بما فيها الثقافية؛ ومن هذه المؤثرات الشيوخ الذين يتتلمذ عليهم، ففيها يتحصل على العلم المقرون بالتطبيق، فيبقى العلم راسخا في الذهن مهما طال الزمن، بحيث يتفاوت أثرهم بحسب طبيعة العلاقة بين الطالب وشيخه،

---

[1] المصدر نفسه، ج3، ترجمة رقم 628، ص249.

[2] النباهي علي، المصدر السابق، ص 166

[3] الشهرزوري ، المصدر السابق، ص404. السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص ص912-913.

[4] الضبي أحمد، 1410ه/1989م، ج1، ص22.

[5] ابن الخطيب، 2009م، ص22.

[6] ابن عسكر محمد، بن خميس محمد، 1420ه/1999م، ص73.

قال أحمد بن حنبل:"إنما الناس شيوخهم فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟"[1]؛ فمن الطبيعي أن لا تخلو أية ترجمة يتعرض لها المؤلفون الأندلسيون دون ذكر أسماء شيوخها سواء قلت أو كثرت، لأن بموجبها يتحدد التكوين العلمي للعالم المترجم به، وتختلف صيغ الاستفادة منهم بين اللقاء الفعلي لهم أو الإجازة لهم شفاهة أو مكاتبة؛ ولا شك أن ما يوصف به العلماء بغض النظر عن انتمائهم الجغرافي من سعة الإطلاع، وقوة الحفظ والهمة في مختلف الحقول العلمية؛ فضلا عن حيازة البعض منهم لمؤلفات شيوخهم جعلهم محطة أنظار طلاب العلم في مختلف أصقاع العالم؛ فأقبلوا يتتلمذون عليهم أو يتبادلون معهم الرواية، إن كانوا من أقرانهم وطبقتهم.

وهناك تفاوت بين المؤلفين الأندلسيين في تطبيق هذا الركن على النصوص التراجمية البجائية والتلمسانية؛ إذ لوحظ تفصيل في بعض التراجم وفي المقابل نجد جحد في حق تراجم أخرى: فمثلا حجاج بن يوسف الهواري(ت 572هـ/ 1176م) قال عنه ابن الأبار:" دخل الأندلس مرارا، وروى عن بضع علمائها"[2]؛ أما الحسين بن حجاج بن يوسف الهواري(ت 598هـ/1201م) قال عنه أيضا:"روى عن أبيه وغيره"[3].

الثابت الثالث: ذكر رحلة المترجم به إن وجدت

أُلِف العديد من علماء بجاية الرحلة والتنقل كسائر أقرانهم من العلماء، والتي تعتبر أحد الثوابت الأساسية التي تقوم الترجمة عليها. وفي غالب الأحيان كانت مرتبطة بطلب العلم أو لدواع أخرى التي اشتغلوا بها؛ وذلك بعد أخذهم وتشبعهم بالمعارف والعلوم في مدنهم، فخرجوا للتفقهه والأخذ عن الكثير من فطاحل العلماء وجهابذة أهل العلم وفرسان السنة في مختلف حواضر العالم الإسلامي للاغتراف من بحر علومهم ومن معينهم الذي لا ينضب، وعذوبة الصافي الذي لا تكدره الدلاء، لسعة علمهم وانتشار آثارهم.

---

[1] ابن الأبار، 1380هـ/1961م، ص92.

[2] المصدر نفسه، ج1، ترجمة رقم 765، ص230.

[3] المصدر نفسه، ج1، ترجمة رقم 724، ص219.

ويظهر جليا أن الرحلة تعد عنصرا تكوينيا لازما وحيويا في حياة الشخصيات العلمية منذ القديم، لكونها تضييق إلى رصيد حياتها تجارب جديدة، كان لها أثر العميق على مستقبلها؛ فأصبحت أكثر رصانة وأشد حنكة وأقوى مراسا في مواجهة التحديات، وتقدير عاقبة الأمور عما كانت عليه من قبل[1]؛ فبها يبلغ طالب العلم درجات من العلم ما لا يتيسر لسواه من أهل بلده، وذلك بلقاء العلماء الكبار من محدثين و فقهاء، ممن تشد إليهم الرحال، وتضرب دونهم أكباد الإبل، للجلوس إليهم، والسماع منهم[2]؛ إننا و من خلال استقراء نصوص التراجمية لاحظنا أن هذا الركن كان حاضرا في العديد من التراجم فمنهم من كانت له رحلة إلى الحواضر المغربية الحسين بن حجاج بن يوسف الهواري(ت 598هـ/1201م) الذي كانت له رحلة إلى مدينة مراكش وفاس[3]، ومنهم من رحل إلى بلاد المشرق فجال مختلف حواضره العلمية.

الثابت الرابع: ذكر العلوم والنشاطات المهنية ومصنفات المترجم به

تعد معرفة المكانة الاجتماعية والوظيفية من العناصر الرئيسة في الترجمة، والتي حرصت عليها الكثير من كتب التراجم، بحيث تقدم العلوم التي برع فيها المترجم به، وبها تحدد منزلته العلمية، ودوره في الحياة الثقافية والفكرية في المجتمع الذي كان يعيش فيه، وأثره في تلاميذه، الذين حملوا العلم عنه، قال ابن الأبار:"ليوقف على جلالة شأنهم، ويعرف تمكن محلهم من البلاغة "[4]، فمن خلال دراستنا وجدنا جل العلماء المترجم بهم برعوا في العلوم النقلية لما لها من أهمية مباشرة في حياتهم؛ ففي الفقه: نجد كل من الحسين بن حجاج بن يوسف الهواري(ت 598هـ/1201م)[5]؛ وعبد الحق بن سليمان الكومي(ت سنة 571هـ/1175م)[6].

---

[1] ابن فرحون إبراهيم المالكي، 1417هـ/1996م، ج1/ص74-75.

[2] أحمد بويوزان بن عيسى،2005م، ص259.

[3] المصدر نفسه، ج1، ترجمة رقم724، ص219.

[4] ابن الأبار، 1963م، ج2، ص11

[5] ابن الأبار، 1415هـ/1995م، ج1، ترجمة رقم724، ص219.

[6] المصدر نفسه، ج3، ترجمة رقم 307، ص125.

بينما العلوم العقلية لم يكن لها حظ عند التلمسانيين والبجائيين الواردة أسماؤهم في الموروث التراجمي الأندلسي، خاصة علمي التنجيم والفلسفة، حيث أكد المستشرق خوليان ريبيرا ذلك في قوله:"إن الفلسفة لم تكن يوما موضع الرضا من عامة المسلمين؛ وقد يصبح الفيلسوف إذا افتضح أمره موضع السخرية المبتذلة والحقيرة من العامة؛ وقد تبلغ الشبهة بصاحبها أن تعطى خاتمة حياته شكلا مأساويا"[1].

الثابت الخامس: ختم الترجمة بتاريخي المولد والوفاة

تعتبر سن الوفيات من أهم الطرق التي استعملها المحدثون في نقد الكثير من الروايات، والتميز بين الكذابين والصادقين؛ لهذا أولوا لها اهتماما، فأوصوا بضبطها، ومحاسبة الرواة؛ خوفا من المدلسين[2]، قال حفص بن غياث(ت 196هـ/811م)":إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين"[3]؛ ويبدو رغم جهود المؤلفين الأوائل إلا أنهم عجزوا على تحديد سنة وفاة كل الرواة والعلماء، قال الذهبي(ت 748هـ/1347م):"ولم يعتن القدماء بضبط الوفيات كما ينبغي؛ بل اتكلوا على حفظهم، فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان أبي عبد الله الشافعي"[4]، وانعكس هذا الاهتمام عند الكتّاب في مختلف الأمصار الإسلامية، خاصة المشارقة مقارنة مع المغاربة؛ إذ صنفوا مؤلفات في"الوفيات" فهي من كمال التاريخ إذ تَعَين من سبق ومن لحق[5].

ونظرا لارتباط علم التراجم بالحديث، كما وضحنا سابقا فأن مؤلفي التراجم الأندلسية عنوا كذلك بتاريخ الوفاة[6]، قال ابن عبد البر القرطبي(ت سنة 463هـ/1070م): "معرفة أعمار العلماء، والوقوف على وفياتهم من علم خاصة أهل العلم، وأنه لا ينبغي لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك؛ وإنه مما

---

[1] خوليان ريبيرا، 1994، ص87.

[2] ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد، 1403هـ/1983م، ص21.

[3] الشهرزوري ، المصدر السابق، ص380.

[4] الذهبي محمد، ج1، ص26.

[5] ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد،1424هـ/2003م، ص236.

[6] ابن بشكوال خلف، 2010م، ج1، (مقدمة المؤلف)، ص31./ ابن الخطيب، 1424هـ/2003م، ج1، (مقدمة المؤلف)، ص10.

يلزمه من العلم العناية به، والقيام بحفظه"[1]، كما وجدنا من حدد تاريخ وفاته بالسنة فقط، مع ذكر حالته الصحية التي مات عليها، ونموذج ذلك: حجاج بن يوسف الهواري قال ابن الأبار:"توفي مكفوف البصر في الطاعون بمراكش أول سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وصلى عليه السلطان، وحضر دفنه"[2].

أما تاريخ الميلاد فهو أصعب تقييد من الوفاة؛ لأن الشخص حين يولد لا يعلم ماذا يكون من شأنه في المستقبل؛ وبالتالي فلا حاجة إلى حفظ تاريخ مولده[3]، وإن كان جل المصنفين الأندلسيين قد اتفقوا على نفس الأسلوب في عرض تاريخ الولادة والوفاة لتراجمهم، بحيث تم ذكرهما بعد الانتهاء من صياغة الترجمة مباشرة، وذلك إما بتقديم تاريخ الولادة وتأخير تاريخ الوفاة، أو العكس؛ وقد ضبطوا تاريخ ثلاثة علماء لا غير؛ ومن التراجم التي حدد تاريخ مولدهم: الفضل بن أحمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي، الذي كان مولده سنة 540ه/1145م أو قبلها بيسير[4].

رابعا: مكانة علماء تلمسان وبجاية في الموروث التراجمي الأندلسي

رغم كل الإيجابيات المترتبة عن المعطيات التي قدمتها كتب التراجم الأندلسية، إلا أنها تبقى رهينة بمناخها وأطرها السياسية والتاريخية والثقافية؛ وبالتالي فعلى المؤرخ أن لا يأخذ كل ما دُون بصدرٍ رحب؛ بل يصبح التحري أمرا ضروريا، وذلك مثلا عن طريق مقارنة النصوص التراجمية ببعضها البعض، والتي من شأنها أن تكشف لنا الأهداف المخفية والمطمورة، التي تستر عنها؛ وبالتالي تمكننا الدراسة التحليلية لأركان الترجمة من معرفة مكانة علماء هذا الإقليم الجغرافي؛ ورغم ذلك لا نجزم نهائيا في الموضوع؛ لأن الأمر مرتبط بنية المؤلف نفسه ولكننا سنوضح ذلك و لو باختصار غير مخلي في الآتي مباشرة. .

أدى الاضطراب وعدم استيفاء تراجم كتب الصلات بابن الأبار إلى التفكير في جمع المادة العلمية ا،لتي تدفع الوهم، وتستكمل النقص، مع إعادة النظر والتصويب في تراجم العلماء؛ وبعدما أصبحت لديه

[1] عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، 1402ه/1982م، ج1، ص83.
[2] ابن الأبار، 1415ه/1995م، ج1، ترجمة رقم765، ص230.
[3] محمد عبد الغني حسن، المرجع السابق، ص88.
[4] ابن الأبار، 1415ه/1995م، ج4، ترجمة رقم154، ص58.

مادة علمية وفيرة، شرع في تصنيف كتاب "التكملة لكتاب الصلة"؛ ورغم الهدف المنشود الذي سطره، إلا أنه وقع في العديد من الهنات الداخلية منها: حدد لترجمة واحدة اسمين لصاحبها، إذ صرح في بداية الترجمة اسما هو عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم، ثم وجدناه يتحدث عن اسم آخر في نص ترجمته قائلا:"واسمه عبد الرحمان بن عثمان التميمي"[1] فلولا ورود هذه الترجمة في مصنفات أخرى، كبرنامج الرعيني[2]، وصلة الصلة[3]، لما فصلنا في اسم الترجمة بشكل نهائي، والذي اتضح أن الاسم الثاني كان يقصد به أحد أجداد صاحب الترجمة[4]، كما خلط ابن الأبار في تحديد الانتماء المكاني للمترجم به محمد بن إبراهيم المهري بحيث صنفه في باب الغرباء بحكم انتمائه إلى مدينة بجاية لكنه سرعان ما ينقذ كلامه، ويقول أنه أندلسي، وبالضبط من مدينة اشبيلية؛ مما أشكل علينا في البداية تحديد انتمائه الجغرافي، وأصبحنا مجبرون على البحث عنه في مصنفات تراجمية أخرى؛ لكن هذه المرة ليست أندلسية بل مغربية، ونخص بذكر كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" الذي مكننا صاحبه من تحديد انتمائه المكاني البجائي[5].

وكذلك أغفل ابن الأبار تاريخي المولد والوفاة للعديد من تراجمه، رغم تأكيده على أهمية ذلك في قوله: "وعدم المبالاة بضبط المواليد والوفيات، كثيرا ما يوجد الزلل"[6]، والملفت للانتباه غياب تام لتاريخ المولد لجل العلماء، رغم معاصرة ابن الأبار للعديد منهم، سواء التقى بهم، أو حمل العلم عنهم، نذكر على سبيل المثال: عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسي الذي قال ابن الأبار في نص ترجمته:"ورأيت السماع منه في شعبان 513هـ/1119م"[7]؛ ولا ندري إن كان هذا تعصبا منه، أم كان علماء تلمسان وبجاية يقتدون بالسلف الصالح قال الإمام مالك بن أنس لما سئل عن سنه:"أقبل على شأنك، ليس من

---

[1] ابن الأبار، 1415هـ/1995م، ج2، ترجمة رقم886، ص307.

[2] الرعيني علي بن محمد، 1381هـ/ 1962م، ترجمة رقم94، ص173.

[3] ابن الزبير، المصدر السابق، القسم الثالث، ترجمة رقم263، ص159.

[4] ابن عبد الملك المراكشي محمد، 2012م، مج5، ترجمة رقم60، ص136.

[5] المصدر نفسه، ترجمة رقم 73، ص148.

[6] ابن الأبار، 1963م، ج1، ص ص250-251.

[7] المصدر نفسه، ج2، ترجمة رقم876، ص304.

المروءة إخبار الرجل عن سنه"[1]؛ وقال محمد بن محمد بن أحمد المقري أنشدني بعضهم أبياتا تفيد هذا المعنى:

احْفَظْ لِسَانَكَ لاَ تَبُحْ بِثَلاَثَةِ سِنٍ ومَالٍ إنْ سُئلت ومذْهَبِ

فَعلَى الثَلاَثةِ تُبْتلىَ بِثلاَثةٍ بِمُكفرٍ وبِحَاسِدٍ ومُكَذبِ[2]

ولا بد من القول أنه بمقدار ما يمثل الاعتراف الجميل لكتب التراجم الأندلسية التي حفظت لنا أسماء العديد من العلماء المغاربة بما فيها التلمسانين والبجائيين إلا أن نظيرتها المغربية كان لها دور فعال في اخصاب التراجم أكثر أحيانا أخرى؛ وفي مقدمتها موسوعة ابن عبد الملك المراكشي، الذي خصص جزءا من كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة" للغرباء، حيث أخذت فئة المغرب الأوسط حصة الأسد فارتأينا المقارنة بين النصوص التراجمية الأندلسية والمغربية التي أعطت لنا فكرة عن مدى المكانة التي تبوأها علماء بجاية، خاصة في مصنفات ابن الأبار، إن النماذج التالية تبين ذلك: فالفضل بن أحمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي قال صاحب التكملة في حقه:"كان من أهل الأدب والبيان، والخط الحسن"؛ كما تعمد في عدم ذكر السلطان الذي تولى عنده الكتابة، رغم معاصرته له[3]؛ في حين استعمل ابن عبد الملك المراكشي مفرادات أقوى في الوصف، قائلا:"كان بليغ الأدب بارع الكتابة رائق الخط"؛ وذكر أنه تولى الكتابة عند السلطان المنصور الموحدي، وابنه الناصر[4]؛ يبدو أنه كان هناك صراع بين ابن الأبار والموحدين، خاصة بعدما أسندت إليه خطة الكتابة من طرف الحاكم الموحدي أبي عبد الله بن أبي حفص، ثم لابنه أبي زيد[5]؛ وبعد استيلاء أبي جميل زيان من بني مردنيش(616-626هـ/1219-1228م) على مدينة بلنسية استغل الفرصة للانتقام من الموحدين، باشتغاله عنده كاتبا؛ ثم كلفه

[1] ابن الخطيب، 1424هـ/2003م، ج2، ص144.

[2] ابن العماد عبد الحي، 1413هـ/1996م، ج8، ص333./ المقري، 1968م، ج5، ص207.

[3] ابن الأبار، 1415هـ/1995م، ج4، ترجمة رقم154، ص58.

[4] ابن عبد الملك المراكشي، 2012م، مج5، ترجمة رقم54، ص134.

[5] ابن الأبار، 1963م، ج1، ص31.

بالسفارة إلى السلطان أبي زكريا الحفصي، صاحب إفريقية[1]؛ وازداد تعصبه بعد قضاء الموحدين على حكم ابن مردنيش[2].

كما حادا نوعا ما عند حديثه عن عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم، إذ وصفه في البداية بالوجاهة والنباهة، ثم سرعان ما وجدناه قد غير أسلوبه قائلا" لم أخذ عنه إلا إجازة، ولا كان الحديث شأنه"[3]؛ ولوحظ كذلك عدم التفصيل في محنة محمد بن إبراهيم المهري مع المنصور الموحدي؛ فلم يحدد السنة التي توفي فيها واكتفى قائلا:" توفي بين عيدي الفطر والأضحى"[4]؛ على عكس ابن عبد الملك المراكشي، الذي ذكر كل تفاصيلها الدقيقة، وضبط تاريخ وفاته في ذي الحجة سنة أثنتي عشرة وست مئة[5]؛ لكن هذا لم يمنع من وجود مؤلفين أندلسيين كانوا منصفين في كلامهم عن علماء تلمسان وبجاية، وخير دليل: ابن سعيد الأندلسي الذي اقتنع بذكر الأبيات الشعرية خلال ترجمته أبي علي عمر بن القفون[6] ، كسائر تراجم كتابه؛ كما حرمتنا المصنفات التراجمية من معرفة أخبار غير معروفة عن أولئك العلماء الذين لا نجد لهم إلا ترجمة وحيدة، والتي صيغت على شكلها الأول باقية هكذا في التناقل بين المؤلفات.

الخاتمة: بعد هذا الاستعراض والتحليل، فإننا نخلص إلى جملة من الاستنتاجات التالية:

– تخلص المؤلفون الأندلسيون من التبعية المشرقية بعدما أعطوا نوعا من الخصوصية و الاستقلالية لمؤلفاتهم التراجمية

– غالبا علماء تلمسان وبجاية، الذين ذكرهم المصنفون الأندلسيون في مؤلفاتهم رحلوا إلى بلاد الأندلس؛ وإن كان الدافع العلمي من أولويات العلماء الراحلين.

---

[1] ابن سعيد علي بن موسى، 1417هـ/1997م، ج2، ترجمة رقم557، ص251.

[2] ابن خلكان أحمد بن محمد، د.ت، ج7، ص131.

[3] المصدر نفسه، ج2، ترجمة رقم886، ص307.

[4] المصدر نفسه، ج2، ترجمة رقم 422، ص164.

[5] ابن عبد الملك المراكشي، 2012م، مج5، ترجمة 73، ص150.

[6] ابن سعيد علي بن موسى، 1987، ص ص 252-253.

- كان لارتحال المصنفين الأندلسين في مختلف الحواضر العلمية المغربية دور كبير في جمع مادته العلمية حول تراجم تلمسان وبجاية.

- هناك تباين بين المؤلفين في مدى تطبيق الأركان النموذجية لتركيبة الترجمة في النصوص التراجمية البجائية.

- تحامل ابن الأبار على العديد من التراجم التلمسانية والبجائية، مقارنة مع المؤلفين الأندلسين الآخرين.

وهكذا لا تزال كتب التراجم الأندلسية ميدانا يحتاج إلى البحث والتعمق فيه، كتحقيق المخطوطات العلمية التي لازالت أدراج المكتبات وخزائن المخطوطات في مختلف دول العالم، مثل: مخطوطة برنامج ابن مسعود الخشني ت 544ه/1149م الموجودة بالمكتبة الإسبانية- اسكويال- تحت رقم1942.

- قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

1. ابن الأبار محمد أبي عبد الله، 1415ه/1995م التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، د.ط، دار الفكر- بيروت- لبنان-.

2. ابن الأبار، 1380ه/1961م، اعتاب الكتاب، تح: صالح الأشتر، ط1، مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق- .

3. ابن الأبار، 1963م، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط1، الشركة العربية- القاهرة- .

4. ابن الجوزي عبد الرحمن، 1993م، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تح: عبد العزيز بن راجي، ط1، دار السلام- الرياض- .

5. ابن الخطيب محمد أبي عبد الله، 1424ه/2003م، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: يوسف علي الطويل، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت-

6. ابن الخطيب محمد أبي عبد الله، د.ت، كناسة الدكان بعد انتقال السكان (حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري)، تح: محمد كمال شبان وحسن محمود، وزارة الثقافة- مصر.

7. ابن الزبير أحمد بن إبراهيم، 1413ه/1993م، صلة الصلة، تح: عبد السلام الهراس، سعيد أعراب، د.ط، مطبعة فضالة- المغرب- .

8. ابن العماد عبد الحي، 1413ه/1996م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير- دمشق- بيروت-

9. ابن الفرج أحمد، د.ت، الحدائق والجنان من أشعار أهل الأندلس، جمعه ورتبه وشرحه: محمد رضوان الداية، نادي تراث الإمارات- أبو ظبي-

10. ابن بسام علي أبي الحسن الشنتريني، 1417هـ/1997م، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة- بيروت-

11. ابن بشكوال خلف، 2010م الصلة، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي- تونس-

12. ابن جماعة محمد، 1433هـ/ 2012م، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تح:محمد بن مهدي العجمي، ط3، دار البشائر- بيروت-

13. ابن خاقان الفتح، 1409هـ/1989م.قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خريوش، ط1، مكتبة المنار- الأردن-.

14. ابن خلكان أحمد بن محمد، د.ت، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت-

15. ابن سعيد علي بن موسى، 1417هـ/1997م، المغرب في حلى المغرب، تح: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية- بيروت-

16. ابن سعيد علي بن موسى، 1987، رايات المبرزين وغايات المميزين، تح:محمد رضوان الداية، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق- .

17. ابن عبد البر القرطبي،1405هـ/1985م، الأنباه على قبائل الرواة، تح:إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي-بيروت-

18. ابن عبد البر يوسف القرطبي،1426-1427هـ/2006م، الإستيعاب في معرفة أسماء الأصحاب، دار الفكر- بيروت-

19. ابن عبد الملك المراكشي محمد، 2012م، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي- تونس-

20. ابن عسكر محمد ، ابن خميس محمد، 1420هـ/1999م، أعلام مالقة، تح: عبد الله المرابط الترغي، ط1، دار الغرب الإسلامي- بيروت-

21. ابن فرحون إبراهيم المالكي، 1417هـ/1996م، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محيي الدين الجنان، ط1،دار الكتب العلمية- بيروت-

22. ابن قنفذ القسنطيني أحمد، 1403هـ/1983م، الوفيات، تح: عادل نويهض، ط4،دار الأفاق الجديدة- بيروت-

23. ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد، 1424هـ/2003م.شرف الطالب في أسنى المطالب، تح: عبد العزيز صغير دخان، ط1، مكتبة الرشد- الرياض-

24. ابن منظور محمد، 1997م، لسان العرب، ط1، دار صادر- بيروت-

25. إبراهيم بن موسى الشاطبي، 1428هـ/2007م.المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط1، جامعة أم القرى- الرياض-

26. أكرم ضياء العمري، د.ت، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة-

27. الباجي سليمان بن خلف، 1422ه/2002م، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تح: محمد أبو الأجفان، ط1، مكتبة التوبة ودار ابن حزم- بيروت-

28. التميمي بن عبد القادر، 1390ه/1970م، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تح: عبد الفتاح محمد حلو، مطابع الأهرام التجارية- القاهرة-

29. جان سوفاجيي و كلود كاهين، 1998م. مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة: عبد الستار الحلوجي وعبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة-القاهرة- 0

30. الخلف سالم عبد الله، 1424ه/2003م، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط1، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة-

31. خوليان ريبيرا، 1994، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف – القاهرة-

32. الذهبي محمد، د.ت، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت-

33. الرعيني علي بن محمد، 1381ه/ 1962م، برنامج شيوخ الرعيني، تح: إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم- دمشق-

34. سالم أحمد محل، 1997م، المنظور الحضاري في التدوين التاريخي عند العرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر-

35. السخاوي محمد بن عبد الرحمن، 1426، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير، محمد بن عبد الله بن فهيد آل فهيد، ط1، دار المنهاج- الرياض-

36. سعد فهمي أحمد بلال، د.ت، السراج المنير في ألقاب المحدثين، دار ابن حزم- الرياض-

37. السيوطي عبد الرحمن، 1415ه، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، ط2، مكتبة الكوثر- الرياض-

38. الشلبي عثمان بن علي، 1423ه/2002م، المقتضب من كتاب سمط الجمان وسقط الأذهان، تح: حياة قارة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة- المغرب-

39. الشهرزوري عثمان بن عبد الرحمن، د.ت، علوم الحديث لإبن صلاح، تح:نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر-بيروت- دار الفكر- دمشق-

40. الضبي أحمد، 1410ه/1989م، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني – بيروت-

41. طه عبد المقصود عبد الحميد أوعبيد، 2004م، الحضارة الإسلامية- دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية- ط1، دار الكتب العلمية- بيروت-

42. عباس حسن، د.ت، النحو الوافي، دار المعارف- مصر-

43. عبد الحليم عويس، 1409هـ/1988م. ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ط2،مطبعة الزهراء للإعلام العربي- القاهرة-

44. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، 1402هـ/1982م. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي- بيروت-

45. عبد الرحمن بالأعرج، 2015م. العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلامية(ق7-9هـ/13-15م)، ط1،وزارة الثقافة- تلمسان-

46. عصام سالم سيسالم، 1984م. جزر الأندلس المنسية(التاريخ الإسلامي لجزر البليار 91-685هـ/708-1287م)، ط1، دار العلم للملايين-بيروت-

47. العكبري أبي البقاء عبد الله بن الحسين، 1430هـ/2009م.اللباب في علل البناء والإعراب، تح: محمد عثمان، ط1،مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة-

48. علي أحمد، 1989م. الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1،دار الطلاس – دمشق-

49. الغبريني أحمد أبي العباس، 1979، عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويض، ط2، دار الأفاق الجديدة- بيروت-

50. الغساني الجياني الحسين أبي علي، 1421هـ/2000م.تقييد المهمل وتميز المشكل، تح: علي بن محمد العمران، محمد عزير شمس، ط1،دار عالم الفوائد.

51. فرانز روزنثال، 1403هـ/1983م.علم التأريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط2،مؤسسة الرسالة- بيروت-

52. ماريا خسيوس رو بييرامتى، 1998م، الأدب الأندلسي، ترجمة:أشرف علي دعدور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية- القاهرة-

53. محمد أحمد ترحيني، د.ت، المؤرخون والتأريخ عند العرب، دار الكتب العلمية- بيروت-

54. محمد عبد الغني حسن، د.ت، التراجم والسير، ط3، دار المعارف – القاهرة-

55. محمد محي الدين عبد الحميد، 1400هـ/1980م. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط20، دار التراث- القاهرة-

56. المقري أحمد بن محمد، 1968م، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح:إحسان عباس، دار صادر-بيروت-

57. نايف بن صلاح بن علي المنصوري، 1427هـ/2006م، إرشاد القاضي والداني إلى تراجم شيوخ الطبراني، ط1،دار الكيان- الرياض-

58. النباهي علي، 1415ه/1995م، تاريخ قضاة الأندلس والمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تح: مريم قاسم طويل، ط1، دار الكتب العلمية– بيروت–

59. نظام الملك الطوسي، 1428ه/2007، سير الملوك أوسياست نامه، ترجمة: يوسف بكار، ط1، دار المناهل– بيروت–

60. الونشريسي أحمد، د.ت، كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تح: محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك– الجزائر–

61. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، معجم المعاجم والمشيخات والفهارس والبرامج والأثبات، مكتبة الرشد– الرياض– ط1، 1423ه/2002م.

الأطروحات:

1. إيمان محمود حماي العبيدي، 1433ه/2011م، التدوين التاريخي ومنهجه في الأندلس من القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي– جامعة الأنبار –العراق–

2. . زبيدة بوطويل، 1428-1429ه/2007-2008م، فن التراجم في الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير في الأدب الأندلسي، جامعة باتنة– الجزائر–

3. نصيرة طيطح، 1429-1430ه/2008-2009م.الكتابة السلطانية في عصر الخلافة الأموية بالأندلس (316-422ه/929-1031م) رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة وهران– الجزائر–

المقالات:

1. أحمد بويوزان بن عيسى، 2005م، فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجري، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة.

2. عبد الله المرابط الترغي، 1428ه/2007م، تطوان من خلال كتب التراجم والطبقات: تصنيف وقراءة وتوثيق، ندوة تطوان والتوثيق من القرن 16 إلى القرن 20، سلسلة أعمال الندوات 13، ط1، مطبعة الخليج العربي– تطوان–

3. محمد بن أحمد بن علي باجابر، ذو الحجة 1430ه. الألقاب عند المحدثين دراسة موضوعية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 48.